تـمـهـيـد :

كـان مـن عـدل الـخـلـيـفـة عـمـر رضـي الـلـه عـنـه تـسـويـتـه فـي الـحـقـوق بـيـن الـوالـي و مـن تـحـت ولايـتـه حـتـى يـقـتـص مـن الـخـاصـة لـلـعـامـة مـن الـنـاس.

و هـذا ابـن لـعـمـرو بـن الـعـاص - والـي الـعـاص - و إلـى مـصـر - يـضـرب شـابـا مـن الأقـبـاط بـغـبـيـر حـق الـقـصـاص، و قـال لابـن الـغـاص قـولـتـه الـمـشـهـورة تـمـلآ سـمـع تـاريـخ الـحـريـة " مـتـى اسـتـعـبـد تـم الـنـاس و قـد و لـدتـهـم أمـهـاتـهـم أحـرارًا.

و مـعـنـى ذلـك أن الإنـسـان يـولـد حـرًا طـلـيـقًـا، و كـذلـك جـمـيـع الأحـيـاء، و مـن حـق الإنـسـان أنيـعـيـش حـيـاة كـريـمـة لا ظـلـم فـيـهـا ولاقـهـر و لا عـبـوديـة و لا اسـتـغـلال هـذا هـو الـوضـع الـطـبـيـعـي لـلإنـسـان.

و لـكـن مـا مـوقـفـه لـو انـتـهـتـكـت كـلامـتـه و سـلـب حـريـتـه ؟

هـذا مـا تـجـد الإجـابـة عـنـه فـي قـصـيـدة الـشـابـي، عـلـى أنّـنـا قـبـل أن نـبـدأ فـي دراسـة الـقـصـيـدة نـعـرج بـك عـلـى حـيـاة الـشـاعـر. فـهـنـاك نـبـدة قـصـيـرة عـنـهـا.

1 - الـتـعـريـف بـصـاحـب الـنـص.

أبـو الـقـاسـم الـشـابـي تـونـسـي ولـد فـي قـريـة " الـشـابـيـة " بـجـنـوب تـونـس عـام1909 م و نـشـأ فـي عـائـلـة مـحـافـظـة حـيـث كـا أبـوه يـتـولـى مـنـصـب الـحـاكـم الـشـرعـي، و قـد تـولـى تـخـريـجـه عـلـى الـمـبـادئ الاولـى لـلـعـلـوم ثـم ألـحقـه بـجـامـع الـزيـتـونـة فـكـلـيـة الـحـقـوق، لـم يـتـقـن الـشـابـي لـغـة أجـنـبـيـة بـل كـان يـطـالـع مـعـظـم آثـار أعـلامـهـا فـيـمـا تـرجـم لـهـم. كـمـا أنـه شـغـف جـدا بـالأدب الـمـهـجـري و بـخـاصـة أدب جـبـران فـاقـتـفـى أثـره فـي مـطـالـع عـهـده، و لـم يـتـوقـف الـشّـابـي عـلـى الـسّـر فـي نـهـج الـكـفـاح و الـتـعـلـم عـلـى الـرغـم مـن وفـاة أبـيـه ثـم مـرضـه بـداء الـصّـدر بـل واصـل كـفـاحـه حـتـى

وافـتـه الـمـنـيـة عـام 1934م مـن آثـاره ديـوان الـشـعـري " أغـانـي الـحـيـاة " الـذي آخـذت مـنـه هـذه الـقـصـيـدة. أمـا الـمـنـاسـبـة فـهـــاهـي :

2 - مـنـــاسـبـــة الـقـصـيـــدة :

مـنـذ أن و طـئـت أقـدام الـمـسـتـعـمـريـن الـفـرنـسـيـن أرض الـمـغـرب الـعـربـي واسـتـولـوا عـلـى الـجـزائـر عـام 1830، ثـم عـلـى تـونـس 1881 و الـتـورات تـتـوالـى و حـركـات الـكـفـــاح لاتـهـدأ.
و كـان لـلأدبـاء و الـشـعـراء دورهـم الـكـبـيـر فـي هـذا الـنـضـال و حـمـلـوا مـسـؤولـيـت بـأمـانـة و شـرف حـتـى ظـفـرت بـلـدانـهـم بـالـحـريـو و الا سـتـعـبـاد يـقـذف الـشـابـي بـهـذه الـقـصـيـدة فـي وجـه كـل مـسـتـبـدّ غـاشـم.

3- الـنـــص

أَلاَ أيـــهـا الـظالِـمُ الـمُـسـتـبِـدُ ..
سَـخِـرْتَ بِـأَنّاتِ شَـعـبٍ ضَـعـيـفٍ
وَعِـشـتَ تُـنَـفِّـسُ سِـحْرَ الـوُجـودِ
رَوَيْـتَ لأيـخْـدعـنْكَ الـربـيـعُ
فَـفي الأفُـقِ الـرحْـبِ هَـولُ الـظلامِ
وَلا تَـهْـزَأن بِـنـوحِ الـضّـعـيـفِ
تَـأمّـلْ هُـنالِكَ أنّـى حَصَـدْتَ
وَرَوّيْـتَ بـالـدم قـلـبَ الـتُرابِ

حَـبِـيـبُ الْـفَـنَاءِ عَـدو الْـحَيَاة
وَكَـفّكَ مَـخْـضُـوبَةٌ مِنْ دِمـاهْ
وَتَـبْذر شَـوْكَ الأسَـى فـي رُبَاهْ

وَصَـحْوُ الْـفـضَـاءِ وَضَـوْءُ الـصّـبـاحْ
وَقَـصـفُ الرعُودِ وَعَـصْفُ الـريـاحْ
فـمـن يَـبْذُرِ الـشّـوكَ يَحـنُ الْجِراحْ

رُؤُوسَ الْـوَرَى وَزُهُـورَ الأمـلْ
وَأَشْـرَبـتـهُ الـدمْعَ حَـتّى ثَـمـلْ

وَبَأْكُـلُـكَ الْـعَاصْفُ الـمُـشْـتَعِـلْ.

سَـيَـجـرفُكَ الـسيـلُ سَـيْلُ الـدِمَا

4 - شـرح الـمـفـردات الـصـعـبـة

الـكـلـمة	مـعـنـــــاهـــــــــــــــــــــا
تـدنـس.	تـلـوث و تـوسـخ.
رويـدك.	اسـم فـعـل أمـر بـمـعـنـى تـمـهـل وانـتـظـر.
أنـي.	كـيـف.
ثـمـل.	سـكـر.
يـجـرفـك.	يـكـتـسـحـك، يـزيـلـك عـن الـطـريـق.

- اقـرأ مـطـلـع الـنـص، ثـم بـيـن مـاذا يـمـثـل ؟
- قـارن إجـابـتـك بـالإجـابـة تـحـت الـعـنـوان الآتـي :

5 - شـــــرح الـنـص :

أ - إنـه يـمـثـل صـرخـة جـريـئـة لـطـم بـهـا وجـه الـمـسـتـعـر الـغـاصـب و وسـمـه بـالـظـلـم و الـحـقـد و الـجـبـروت، لـمـاذا ؟
لأنـه يـكـره و يـعـيـش الـحـريـة الـعـبـوديـة، و ليـس فـي قـبـه الـمـنـحـجّـر رحـمـة و لا شـفـقـة إنـسـانـيـة.
ثـم يـسـتـرسـل فـيـقـول : مـازلـت تـهـزأ بـآلام الـشـعـوب الـضـعـيـفـة و تـسـخـر مـن آهـاتـهـا و أنـاتـهـا، مـع أنـك سـبـب بـلائـهـا و سِـر شـقـائـهـا، فـكـم سـفـكـت مـن دمـاء الأبـريـاء، و نـهـبـت مـن ثـروات الـشـعـوب، وألـقـيـت بـالأحـرار فـي غـيـاهـب الـسـجـون ، و إنـك بـهـذا الـعـدوان الـصـارخ تـجـعـل مـن الـكـون مـسـرحًـا لـجـرائـمـك و آثـامـك.

ب - و راح يهد المستعمر فيقول :

تمهل ولا تسرف في إجرامك، ولا تنخدع بمظاهر السكون من حولك، أو استقرار حياتك بين الشعوب الضعيفة المستعبدة فإنّه الهدؤ الذي يسبق العاصفة و عما قليل ستهب هذه الشعوب من سباتها و يومئد ستعرف قوة الصرخات التي تهزأ بها و عليك أن تتحمل أوزار فعلك آثام صنعك فكلتدين تدان.

جـ - و هاهو يعود إلى تذكير المستعمر بآثامه فيقول :

انظر كيف أزهقت الأرواح البريئة، وفتكت بالشّباب الدي كانَ أمل أمته، و كيف أسلت دماءهم البريئة بها التراب، فانهمرت العيون بالبكاء انهمار المطر الغزير.

د - أما في الوحدة الأخيرة فيوضح الشاعر للاستعمار مصيرهُ المحتوم فيقول إن أنهار الدماء التي أأرقتها ظلماو عدوانا سوف تستحيل إلى طوفان عارم يجرفك في مسيرته، وإن رياح الثورة المشتعلة ستألك في عصفها و الموت و الدمار مصيرك المحتوم.

هذا بخصوص الاتجاه العام للأبيات.

فما نوع الأفكار التي تناولها الشابي و ما قيمتها في مجال التحرير ؟